مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 08 (02) ديسمبر 2024 ص ص 442-460

نظام القرابة في أسطورة بسيشيه وكيوبيد

The system of kinship in the legend of Cupid and psyche

أحمد شكيب بكري*
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية –المركز الجامعي صالحي أحمد (النعامة)
البريد الالكتروني المهني:bekri@cuniv-naama.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/06/05	2024/10/25	2024/12/01

الملخص: يهدف هذا البحث إلى الكشف عن حفريات البناء الاجتماعي ومن ثمة نظام القرابة، المبثوثة في الأسطورة النموذج، وذلك باستخدام المنهجين الأنثروبولوجي الرمزي والأنثروبولوجي الاجتماعي الكفيلين بفضح بنى القرابة والزواج في الأسطورة، ولن الإشكالية التي نطرحها في خضم هذا البحث هو حول نوعية العلاقات القرابية الموجودة في نص الأسطورة وما رمزيتها؟ وهل ثمة طارئ قرابي فرض نسقيته في الأسطورة؟

الكلمات المفتاحية: *البناء الاجتماعي؛ القرابة؛ الأسطورة؛ الأنثروبولوجيا؛*

Abstract: This research aims to reveal the fossils of social construction and from this system of kinship, which is broadcast in the model myth, using the symbolic anthropological and social anthropological methodologies that can expose the structures of kinship and marriage in the myth. The problem we pose in the context of this research is about the quality of the kinship relationships found in the text of the myth and what symbolism? Is there a near emergency to impose its legend?

Keywords: *Social construction; kinship; legend; anthropology;*

مقدمة:

قبل الشروع في دراسة نص اسطورة "بسيشي وكيوبيد"، لابد أن نشير في البداية؛ أن هذا النص الأسطوري من التراث اللامادي وجدناه بعد استقراء مسباري؛ أنه يتضمن على أحفوريات اجتماعية، والتي تنضوي تحتها نظم القرابة المتمثلة في علاقة الزواج، وعليه وجب

* المؤلف المرسل

أن نطرح الإشكالية التي مفادها ما نوعية العلاقات القرابية الموجودة في نص الأسطورة وما رمزيتها؟ وهل ثمة طارئ قرابي فرض نسقيته في الأسطورة، إن الفرضية التي تؤكد نفسها في هذا السياق؛ هو أن هذه الأسطورة التي نحن بصدد دراستها تتمحور في ميتانصيتها على الاختلافات الأسرية والمشاكسات القرابية، والتي ضمّنت رمزيا في سياقية النص الأسطوري، ولعل المنهج الأنجع لفضح هذا النسيج الأساطيري ذي الدلالات المنثورة في نصيته؛ هما المنهجين الأنثروبولوجي الاجتماعي والأنثروبولوجي الرمزي.

1. مفهوم القرابة والزواج:

إن الباحثَ في مجالِ الأنثروبولوجيا والمتقفّر لأدربهـ َا الملتويةِ، لن يعثر على تعريف جامع مانع لمفهومي القرابة والزواج؛ وذلك لتشعب هذا المصطلح من جهة ولاختلاف النظريات وتشاكس مشاربها العلمية وتضارب رؤاها الفلسفية من جهة أخرى، وعليه سنورد تعريفات شتى حول مصطلحي القرابة والزواج.

1.1 تعريف القرابة:

يعرف **ابن خلدون** القرابة قائلا: "... وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة...، فهي نزعة طبيعية مذ كانوا.فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة... وإذا بعد النسب بعض الشيء فربما تنسي بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه، فرارا من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه..." (ابن خلدون، 1992، صفحة 39-138).

إن هذا التعريف يقر أن نظام القرابة نزعة طبيعية في البشر وإنها مبنية على النعرة والعصبية، وإن درجة القرب متصلة بعلاقات القرب والبعد بين الأفراد، فكلما كانت القرابة قوية وقريبة كانت القرابة متصلة والعكس صحيح.

أما في المفهوم الأنثروبولوجي يعرف الباحث الإثنولوجي إحسان محمد الحسن القرابة على أنها: " لا تعني في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع؛ هي العلاقات العائلية والزواج فقط، وإنما تعني كذلك علاقات المصاهرة، فالقرابة علاقة دموية والمصاهرة علاقة زواجية فعلاقة الأب بإبنه علاقة قرابية وعلاقة الزوج بزوجته هي علاقة مصاهرة، والطفل ابن أبويه وعلاقته بهما نتيجة هذه العلاقات لهتين العلاقتين..." (الحسن، 1981، صفحة 18،19).

يذهب محمد حسن غامري إلى ما ذهب إليه إحسان محمد الحسن إذ يقر بأن القرابة هي: " جماعة اتحدت عن طريق روابط الدم أو الزواج، وتعتبر غالبية الجماعات القرابية هي علاقة جماعة اتصلت عن طريق قرابة العصب، وفي ضوء ذلك فإن القرابة هي علاقة اجتماعية تقوم على ارتباط أسري محدد ثقافيا، وتقوم ثقافة المجتمع بتحديد أشكال العلاقات الأسرية التي تعتبر ذات أهمية خاصة وكذلك الحقوق والالتزامات التي تقع على كاهل عدد من الأشخاص الأقارب وصور التنظيم الموجودة بينهم..." (غامري، 1991، صفحة 43).

فهذا التعريف يؤكد أن علاقة القرابة تبنى أساسا على علاقتي الدم والزواج، المتخندقة وفق أنساق ثقافية يصنعها المجتمع، وبها يؤطر هذه المؤسسة الاجتماعية والأسرية.

ومن المنظور القانوني للقرابة؛ يشير كل من ميشال إيزر وبيار بونت، بأن الصلة التي تربط بين شخصين أو أكثر ويرتب عليها القانون أثراً، وهي تنشأ إما عن واقعة قانونية هي الولادة، وحينئذ تنشأ الصلة بين المولود ووالديه وبين أقارب كل منهما، وإما عن تصرف قانوني،لا يكون الغرض الأساسي منه إنشاء القرابة وهو عقد الزواج الذي يخلق قرابة بين كل من الزوجين وأقاربهما. وإما عن تصرف قانوني يكون الغرض منه إنشاء صلة القرابة وهو عقد التبني (إيزر، 2006، صفحة 718).

2.1 أنماط القرابة:

تنقسم أنماط القرابة معرفيا إلى نظامين قرابيين؛ وهما النظام الأبوي والنظام الأموي، عبر سيرورة كرنولوجية وسوسيولوجية واللذين أسسا لانتماء الفرد إلى الجماعة.

1.2.1 النظام الأبوي (الأبوسي، البطرياركي): تعرف الأنثروبولوجية شارلوت سمور سميث النظام الأبوي في معجمها الأنثروبولوجي؛ على أنه انتماء الفرد إلى الجماعة القرابية الدموية التي ينتمي إليها والده، وهي تضم كل روابط الشخص بأسلافه عن طريق أبيه؛ أي أن الروابط القرابية تعترف فقط بالذكورة. أو بما يسمى بالنظام الذكوري الأبوي. (سميث، 2009، صفحة 430).

2.2.1 النظام الأموي(الأموسي، الماطرياركي): هو انتماء الفرد إلى الجماعة القرابية الدموية التي تنتمي إليها الأم، أي أن التسلسل القرابي هو عن طريق الإناث وليس الذكور (سميث، 2009، صفحة 430).

2. مفهوم الزواج: :

إن المتتبع لمفهوم الزواج لن يستقر على حدٍّ واحد لهذا المفهوم، وهذا يرجع إلى الاختلافات الشديدة بين الثقافات في تنظيمها الاجتماعي للعلاقة النوعية بين الذكور والإناث، ولتباين رؤى المنظرين المتمين بهذا الشأن، وعليه سنورد أهم تعريفات مفهوم الزواج:

1. يعرف الباحثان شريف محمد عبد محجوب وفاتن محمد في كتابهما: " التراث الشعبي " الزواج بأنه؛ علاقة جنسية مقررة اجتماعيا بين شخصين أو أكثر ينتميان إلى جنسين مختلفين، ويتوقع أن تستمر لمدة أطول من الوقت الذي تتطلبه عملية حمل وإنجاب الأطفال. وتكاد تكون العلاقة الثابتة هي أهم ما يميز الزواج في مختلف الثقافات طالما أن الزواج لايتساوى في امتداده مع الحياة الجنسية، وطالما أنه يستبعد علاقات البغي والزنا وأي نوع من العلاقات الجنسية العارضة أو التي لا يقرها القانون أو العرف أو الدين. (شريف، 2007، صفحة 146).

2.وفي السياق نفسه يعرف شريف محمد عبد محجوب وفي إطار اجتماعي؛ أن الزواج مؤسسة اجتماعية، أو مركب من المعايير الاجتماعية يحدد العلاقة بين رجل وامرأة، ويفرض عليها نسقا من الالتزامات والحقوق المتبادلة الضرورية لاستمرار حياة الأسرة وضمان أدائها لوظائفها، ويعتبر حفل الزواج إعلانا يعترف بمقتضاه كل من الزوج أو الزوجة بمكانته الجديدة في المجتمع، وهي التي تكتسب من خلال التعاقد بينهما الذي يلقى كل التدعيم الاجتماعي. (شريف، 2007، صفحة 146).

3.ويعطي الباحث عامر مصباح في كتابه:" المدخل إلى علم الأنثروبولوجيا "تعريفا للزواج بأنه؛ الرابطة المقدسة أو الشرعية التي تجمع بين الرجل والمرأة، والتي يترتب عنها وظيفة الإنجاب ويتوقف عليها بقاء النوع البشري. وإن تتبع النسب القرابي يكون عبر الروابط الزواجية المختلفة التي تؤدي إلى إنجاب السلف للخلف الذي يصبح عبر الزمن الأسرة والعشيرة والقبيلة والمجتمع. كما أن الطريق الشائع نحو بناء النواة الأولى لأي مجتمع – الأسرة – هو الزواج، أنى كان شكله. (مصباح،2010، صفحة 219) .

وعليه ومن خلال هذه التعريفات النموذجية للزواج، نستشف أن الزواج هو علاقة ينبثق بين الرجل والمرأة وفق علاقة جنسية مؤسسة ومنظمة من طرف المؤسسة الدينية والاجتماعية، وذلك بهدف ضمان بقاء النوع البشري، والتي تنشأ من خلاله الأسرة والمجتمعات.

1.2 أنماط الزواج:

تتبني معيارية الزواج أنثروبولوجيا على بعدين مهمين وهما الزواج الإضوائي والزواج الاغترابي، وكلا هذين النوعين ينطلقا تاريخيا عبر الضرورات الوجودية والاجتماعية، المتحكمة في تنظيم علاقات الارتباط الأسرية المنضوية في الأسيجة القبلية، والتي رسمت معالم تلك الارتباطات بين الرجل والمرأة ووفق أسنن وشروط اجتماعية صارمة.

2.2 الزواج الإضوائي أو الداخلي Endogamie:

إن هذا النوع من الزواج يتم داخل المجموعة وليس خارجها. وإن الإضواء قد نشأ في ظل ظروف كانت تدعو إلى التماسك بين أعضاء المجتمع، من أجل الحفاظ على كيان العشيرة في تحركاتها الرعوية وفي نزاعاتها الدائمة على المراعي ومصادر المياه. وقد ساعد نظام تعدد الزوجات على ممارسة الإضواء والاغتراب معا حسب الظروف الاقتصادية السائدة، والأوضاع السياسية والاجتماعية المرغوبة في حينها. (رياض، 1974)، بمعنى أن قاعدة الزواج الإضوائي يتمثل اهتمامه في المحافظة على تماسك الجماعة أكثر من أي مصلحة أخرى لأعضائها. (شريف، 2007، صفحة 157).

3.2 الزواج الاغترابي أو الخارجي Exogamie:

تقوم القاعدة الأساسية في الزواج الاغترابي؛ على ضرورة أن يتزوج الشخص من خارج جماعته القرابية. (محجوب، 1977، صفحة 248،249). فالأفراد لا يتزوجون من داخل مجموعتهم، بل يبحثون عن زوجة خارج هذه المجموعة.

إن هذا النظام من الزواج في نظر العالم الأنثربو - بنيوي الفرنسي كلود ليفي شتراوس؛ قد نشأ مكملا لعمليات التبادل المستمرة للسلع بين مجموعتين أو قبيلتين وبذلك كانت الزوجات أيضا إحدى سلع التبادل بين المجموعات البدائية (Levi-Strauss, 1949,pp 772,774).

4. نظم القرابة في أسطورة بسيشيه وكيوبيد

سندرس في هذا الشق الإجرائي النظم القرابية المختلفة في أسطورة بسيشيه وكيوبيد، محاولين تسليط الضوء على التقيات الاجتماعية المندسة بإحكام في نسقية هذا السرد الأسطوري وما يكرسه من أبعاد سوسيولوجية.

1.3 نص الأسطورة (العينة):

تروي قصة (بسيشيه وكيوبيد) أو " النفس والعشق " الحكاية التي يستند عليها الحافز أو الموتيف المعروف في الأدب العالمي المعروف ب"الجميلة والوحش " (بورايو، 2002، صفحة 21)؛ أن امرأة بارعة الجمال تدعى "بسيشه"، ظهرت قديما في أرض اليونان، وجلبت انتباه الناس إليها إلى حد أنهم نسوا آلهة الجمال عندهم "فينوس"Venus" وأصبحوا لا يلهثون إلا باسم هذه المرأة التي تنتمي لعالم البشر،وقد تمادوا فقدموا لها قرابين الولاء، وأهملوا عبادة فينوس فلما بلغ الخبر مسامع فينوس غضبت وحرضت ولدها" كيوبيد" على الانتقام لها من هذه المرأة فكلفته بأن يزوج الفتاة بأقبح كائن على وجه الأرض،بلغ أهل بسيشه نبأ غضب الآلهة فتملكهم الرعب وقصد الأب المعبد ليتوسل للآلهة، فسمع هناك نبوة تتوقع شرا سيلحق بالفتاة الجميلة، وأمرته النبوءة بأن يحمل ابنته إلى جبل ليتركها للريح المأمورة فتحملها أينما رسمت لها الأقدار. نفذ الأهل الوصية، وحملوا ابنتهم إلى الجبل لتحملها الرياح، حيث وجدت نفسها زوجة لشخص خفي، امتنع عن البروز أمامها في ضوء النهار، كان دائم التحذير لها أن تسعى لمعرفة حقيقته وأن تتصل بأختيها، استقدمت أختيها اللتين حاولتا معرفة حقيقة زوجها، ووفرا لها قناديل لكي تستعملها أثناء الليل للتعرف عليه. نفذت اقتراحهما وحملت القناديل وكشفت عن وجهه وهو مستغرق في النوم، وجدته بارع الجمال فذهلت وأمالت القنديل فنزلت منه قطرة زيت تسببت في استيقاظه وإحراق موقع من وجهه، فغادرها غاضبا والتحق بأمه فينوس،عوقبت الفتاتان المتسببتان في ألم كيوبيد، كما سلط العقاب على بسيشه فظلت هائمة على وجهها تبحث عن زوجها الهارب، وقد ساعدتها بعض الآلهة في إرشادها إلى الطريق الذي سلكه.ولما وصلت إلى عالم الآلهة أين كانت تقيم فينوس كلفتها هذه الأخيرة بمجموعة من المهام الصعبة التي كادت تِؤدي إلى هلاكها.غير أنها أنجزتها بمساعدة كيوبيد وعدد من الآلهة المتعاطفة معها وفي النهاية رضيت عنها

فينوس وعن كيوبيد، وتقررت مؤسسة علاقتهما فتزوجا من جديد وعاشا سعيدين وأنجبا ابنة. (ابوليوس، 2004)

2.3 نظم القرابة في نص الأسطورة:

إن المتتبع للمسار النصي للأسطورة، يستشف أن ثمة ارتباكا في نظام التسلسل القرابي فيها، وهذه الخلخلة القرابية لن تتضح بشكل واضح وجلي للوهلة الأولى، إنما تتكشف خيوطها بعد إعمال التشفير وخرق حجب النص واجتثاث معانيه المنضوية في أحشائه، ولعل المنهج الناجع الذي يتحرى عن أركيولوجيات النظم القرابية المختلفة في هذا الأثر الموروثي؛ هوالمنهج الأنثروبولوجي الرمزي التأويلي (أبلال،2011،صفحة 46)، الذي يطمح في معالجة الظواهر الأنثروبوثقافية باعتبارها ظواهر رمزية، ولعل السيميولوجيا تعد أهم رافد من روافد هذه الأنثروبولوجية التي تعالج الحياة الاجتماعية والأنشطة الثقافية من حيث هي ظواهر يمكن دراستها وفهمها على أنها حوار المعاني، أو نقاش يتعلق بالرموز المتضمنة لتلك المعاني، وهذا في حد ذاته يشكل محورا أساسيا للعلوم الإنسانية، وهذا ما أكده كل من جيرتز Clifford Geertz، وماكس وبير Max Weber، ودلتاي Wilhem Dilthey،حيث أن الثقافة نص Texte، يتشكل من عدد من الرموز (أبلال، 2011،صفحة 47).

ومن هذا المنظور وبعد هذه المناولة النظرية الموجزة، يتسنى لنا تبئير Focaliser وتسخير آلياتنا التحليلية المتاحة، لرصد العينات السوسيولوجيا المنضوية في مخبوءات النص،واعتبارها أنساقا ثقافية ورمزية ونصية في آن واحد، وإن القارئ المتفحص لهذا النص الأسطوري.

3.3 أنماط الزواج القرابي في الأسطورة:

لقد سبق لنا في عرضنا لأهم الأنماط القرابية الخاصة بالزواج؛ أن بينا أنه ينقسم بدوره نمطين اثنين وهما: **الزواج الإضوائي والزواج الاغترابي**، فالأول يتأسس على الزواج

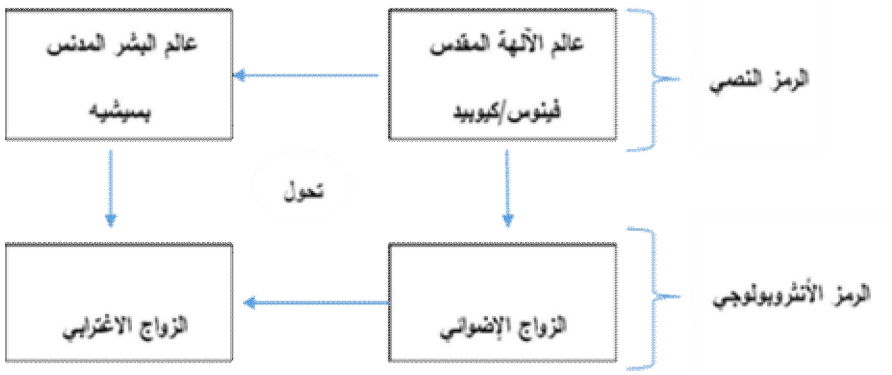
الذي يتم داخل المجموعة وليس خارجها، والثاني الذي يندرج ضمن وجوبية الزواج خارج المجموعة القرابية،ويبدو أن هذين النمطين قد تجسدا رمزيا في النص الأسطوري.

فلقد أخبرتنا الأسطورة أن العلاقة - وفي بدايات التسريد الأسطوري -، التي كانت بين فينوس إلهة الجمال والتي تمثل قيم(الأمومة) وابنها كيوبيد إله الحب والذي يمثل قيم (البنوة)،كانت تربطهما علاقة التواطؤ الأسري بين الأم والابن، ويتضح هذا الجانب سرديا في غضب الإلهة " فينوس" من البشرية الحسناء (بسيشيه)، وجسدت غضبها هذا بتوكيل ابنها " كيوبيد " أن ينتقم منها وأن يقتلها إذا اقتضى الأمر، وهذا الغضب يفسر رفض فينوس الارتباط بكل ما هو بشري من قريب أو بعيد، وهي إرادة عارمة لتكريس قيم الألوهية وبسط السطلة واحترامها وترتيب وتنظيم هذه القيم، ووضع لها الحدود الفاصلة والطابوهات المحرمة والخطوط الحمراء لكي لا يتعداها البشر ويبقون دوما تحت رحمة الآلهة وعدم تدنيس الحلقة المقدسة، وأن يفهم البشر أن لا مناص لهم من التخندق في بوتقتهم المرسومة لهم وجوديا، وأنهم يمثلون قيما بشرية، تلزمهم أن يبقوا دوما في عبودية مستمرة للآلهة وأن لا حق لهم في أن يتطلعوا إلى قيم تفوقهم، وعليهم الارتكان وتقبل دلالات الدناسة التي هي من صلب طينتهم المادية ومن صميم وجودهم والمرتبطة بالأرض.

إن هذا المدلول النصي يتلاءم ويتلازم مع نمط الزواج الإضوائي حيث يرتهن أفراد المجموعة القرابية بالزواج داخل هذه المجموعة، فالأم فينوس ومن منظور أنثربولوجي كانت تكّرس هذه النمطية القرابية، إذ وضعت الحواجز المستعصية والعواقب الوخيمة لكل من سّولت له نفسه الاقتراب من هذه الشروط الاجتماعية ذات الثقافة البينية الخاصة بفئة الآلهة دون غيرهم، وهذا يعني تأويليا وضمنيا أن فينوس لا ترى حرجا أن يتزوج الآلهة فيما بينهم ومن ضمنهم ابنها كيوبيد الإله؛ أي الزواج الإضوائي البيني والداخلي ضمن بوتقة الآلهة، وهذا كما أسلفنا يخفي رمزيا معيارية الزواج الإضوائي الداخلي الذي يشجع زواج أفراده فيما بينهم أو بين الفئة الواحدة أو القبيلة الواحدة، فهذا زواج داخلي وفئوي ولامجال للأغراب

الانضواء تحته، ونصيا لقد تبوثق هذا في صرامة فينوس بعدم السماح لأي عنصر خارج فئة الآلهة بالارتباط بهم أو الزواج منهم بل وضعت شروطا فئوية وتعسفية، لكي لا يتمكن أي مخترق لهذه الدائرة القرابية بالاقتران بهذه الفئة.

إلا أن النص الأسطوري كان له رأيا آخر، وباغتنا بمستجدات نسقية غيرت من مجريات الأحداث،عندما هّم كيوبيد بتنفيذ مشروع أمه (فينوس) الفئوي، فذهل هذا الأخير من جمال (بسيشيه) البشرية، ووقع في غرامها واتفق على الزواج بها سرا، دون علم الأم، ولقد لاقى هذا التغيير الفئوي الذي أراد إحداثه (كيوبيد) مساندة وتواطؤ الآلهة الآخرين، فكأن القيم التي رسمتها فينوس وشددت عليها، بدأت تتلاشى أواصرها بتمرد (كيوبيد) على ضوابط " فينوس "، وهذا الالتقاء والحب الذي نتج عنه زواج (كيبوبيد) الإله ب (بسيشيه) البشرية هو حلحلة وخلخلة الصراع بين الآلهة والبشر ومن ثمة سقوط كل تلك القيم، التي أسلفنا ذكرها وحللناها. فهذا يعني أن قيم ونمطية الزواج الإضوائي تغيرت وتبدلت بمعيارية اجتماعية أخرى ورؤية ثقافية مغايرة،وهذا يندرج أنثروبولوجيا وفق الزواج الاغترابي حيث يكون الزواج ضمن خارج الدائرة القرابية وبعيدا عن المجموعة السوسيولوجية، ولا يمكننا إلا نفسر هذا البعد الرمزي النصي إلا بتفسيرين اثنين، أولهما نصي والثاني ثقافي وأنثروبولوجي؛ فالتفسير الأول النسقي يتعلق بتغير القيم التراتبية التي وضعتها الآلهة وبالأخص (فينوس) بعدم الالتحام والاقتران بعوالم البشر باعتبارهم يمثلون قيما " مدنسة"، والآلهة يمثلون قيما " مقدسة" ولا مجال لحوارية المقدس بالمدنس والسماوي المتعالي والخالد بالمادي الزائل،إلا أن هذه الحوارية تغيرت لهجتها وخفّ صوتها، عندما تزوج (كيوبيد) الإله الحّمال للقيم المقدسة، بالبشرية (بسيشيه) الحّمالة للقيم المدنسة، وتوطدت هذه العلاقة وتقوت بمباركة فئة الآلهة لهذا الزواج المختلط، ولم تر بدا أو حرج أن تتم هذه الزيجة بين الإلهي والبشري، حتى أن فينوس (الأم) المتعصبة لكل ما هو إلهي وفئوي لم تصمد كثيرا ورضخت لحركة التمرد الذي أحدثها (كيوبيد)، وقبلت بتغيير فلسفتها ورؤيتها المتعلقة بالاختلاط ببني البشر.



الشكل رقم (01): يمثل انتقال أنماط قرابة الزواج في أسطورة بسيشه وكيوبيد

إن الخِطاطة رقم واحد والتي تعبر عن انتقال وتحول أنماط الزواج في أسطورة بسيشيه وكيوبيد، هذا التحول الذي كان نصيا والذي عبّرنا عنه **بالرمز النصي** والتي تخندقت تحته دلالاتين قطبيتين، تمحورت حولهما سردية الأسطورة، وهما فضاء عالم الآلهة والمحركين الأساسيين لخيوط الأحداث ضمن النطاق القداسي، والمتمثل في الإلهة فينوس الرافضة لأي ارتباط مع عالم البشر ذي الأبعاد المدنسة، والإله كيوبيد الذي كان في الشطر الأول من حيثيات الأحداث الأسطورية تحت البوتقة الاستراتيجية المقدسة التي رسمت حدودها فينوس، إلا أن كيوبيد لم يلبث أن حوّل مجريات الأحداث وغيّر من التوجه العام لفينوس، وارتباطه بالعالم البشري وذلك بالزواج من البشرية بسيشيه ذات الجمال الإلهي، وبهذا الارتباط تغيرت الدلالات وانقلب الرمز من المقدس إلى المدنس واتحد المادي بالروحي والبائد بالخالد.

ويمكن أن نحقق هذا التحول بمعادلة سيميائية، تبين مجالات الحالات والتحوّلات التي طرأت في النص الأسطوري في شقيه النصي والأنثروبولوجي، وتحول عالم الآلهة المقدس إلى العالم البشري المدنس، ومن الزواج الإضوائي إلى الزواج الاغترابي.

- **الحالة والتحول:** يعبر ملفوظات الحالة وملفوظ الفعل في النظرية السيميائية؛ بوصفهما تتابعا للحالات والتحويلات المتنوعة التي تؤطر مختلف العلاقات التي يقيمها الفاعل بموضوع القيمة، وتكون هذه العلاقات الفاعلية إما وصلية أو فصلية عن موضوع القيمة. (رشيد، 2000)

- **ملفوظ الحالة:** تعبر الحالة في النظرية السيميائية عن الكينونة أو الملك، وتستعمل للدلالة على العلاقة الوظيفة التي تربط الفاعل بالموضوع (ف،م)، وارتكازا على مفهوم الوظيفة يكون الفاعل إما بوصلة بموضوع القيمة على نحو: (ف ∧ م)، أو يكون بفصلة عن الموضوع على نحو: (ف∨ م).

و يمكن تحقيق هذه العلاقات السيميائية في نص بسيشيه وكيوبيد، وتحليل العلاقات الفاعلية القائمة في النص والتي ألقت بظلالها على العلاقات القرابية من زاوية سيوسيولوجية.

لقد أسلفنا في بداية التحليل أن العالم الألوهي والمتمثل في (فينوس وابنها كيوبيد) رفضا في بدايات الأسطورة؛ ربط أي علاقة صلة بالعالم الإنساني المكتظ بالدناسة والدونية، فهذه الشبقية والتعالي من طرف عالم الآلهة يعزز امتلاكهم لعنصر العلو والقداسة، فهم أي فينوس وكيبويد بوصلة بموضوع قيمتهما والمرتكزة على الألوهية والقداسة بل هم يمتلكانها، وفي اللحظة نفسها هما بفصلة عن العالم الإنساني والتي انضوت تحته الجميلة بسيشيه الذي يمثل قيما منحطة ومدنسة، والتي عملت الآلهة عدم الاقتران بأي حال من الأحوال بهذا العنصر المنحط، كما كانت بسيشيه في بداية الأسطورة بوصلة مع قيم البشر المدنسة وبفصلة مع الحيز الألوهي، ويمكن أن نمثل لهذه العلاقات الفاعلية على هذا النحو:

ف: (فينوس + كيوبيد) ∧ م (القداسة) ⟵ ف(فينوس، كوبيد) (عالم البشر المدنس).

ف: (بسيشيه) ∧ م (الإنسانية /الدناسة) ⟵ ف(بسيشيه) (القداسة) .

- ملفوظ الفعل: خلافا لملفوظ الحالة يستمد ملفوظ الفعل أو التحويل علة وجوده من التحويل ويعمل على الحالات والفصلات التي تقوم بين الفاعل وموضوع القيمة.(مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، 2000)

- **التحويل الفصلي والتحويل الوصلي:** يحقق الانتقال من حالة الوصلة بموضوع القيمة إلى حالة الفصلة به، والتحويل الفصلي يحقق الانتقال من حالة الفصلة بموضوع القيمة إلى حالة الوصلة به.

التحويل الفصلي: ف ∧ م ⟵ف ∨ م

التحويل الوصلي: ف ∨ م ⟵ ف ∧ م

لقد تجلت هذه المعادلة السيميائية، في تغيير كيوبيد الإله من بوصلة توجهه الرامي بعدم الانصهار مع عالم البشر، وهذا التغير يتجلى في زواج كيبويد ببسيشيه، الذي يعني تحولا كبيرا في القيم التي نافحت فينوس الإلهة دون المساس بحياضها أو التقرب من أسجيتها، ولكن الانقلاب الذي أحدثه كيوبيد هو في حد ذاته نسف لهذه القيم المقدسة وجعل فضاء الآلهة متماثلا مع عالم البشر، وأصبح عالم الآلهة بفصلة عن قيمها المقدسة بعدما كانت تمتلكها، في حين أصبح عالم البشر بوصلة مع العالم السماوي والإلهي بعدما كان محرما عليه الدنو من الآلهة. وسنعبر عن هذه العلاقات الفاعلية المركبة بهذه التركيبة السيميائية حول الحلات والحولات الطارئة في هذا النص الأسطوري:

التحويل الفصلي: (فينوس+ كيوبيد) ∧ م (القداسة) ⟵ ف (فينوس) (القداسة)

التحويل الوصلي: (بسيشيه) ∨ (القداسة) ⟵ (بسيشيه + كيوبيد) ∧ (القداسة)

وأما التفسير الأنثروبولوجي حول رمزية هذه الحوادث الأسطورية، يتأسس وفق التغير الحاصل في نمطية الارتباط القرابي؛ فالنص يحدثنا ومن بؤرة ثقافية واجتماعية أن فلسفة الفئة القرابية كانت تتخندق وفق النمط الزيجي الإضوائي، والمسّيج بقوانين اجتماعية وضوابط ثقافية مكرسة لهذا الزواج الداخلي والبيني، إلى أن حصل الديكليك Déclique والطفرة الاجتماعية والنقلة الثقافية، من خلال الانتقال من نمط قرابي إلى نمط قرابي مغاير

ومخالف، والانتقال من الزواج الإضوائي إلى الزواج الاغترابي الخارجي في نص الأسطورة المدروسة.

4.3 الانقلاب القرابي في الأسطورة:

إن النظم القرابية هي تلك النظم الثنائية المتوزعة بين أفرادها ويتربع على سدتها ورأس سنامها الأب والأم، والتي تسمى إنثروبولوجيا النظام الأبوي والنظام الأموي فالنظام الأبوي؛ هو -كما أشرنا -انتماء الفرد إلى الجماعة القرابية الدموية التي ينتمي إليها والده؛ أي أن الروابط القرابية تعترف فقط بالذكورة. أو بما يسمى بالنظام الذكوري الأبوي. والنظام الأموي الذي يعترف بالتسلسل القرابي عن طريق الإناث وليس الذكور. (سميث، 2009، صفحة 430).

فهل لهذين النظامين من بصمات نصية ورمزية في ثنايا النص الأسطوري؟ لقد خرج بنا التحليل السابق أنه كان هناك صراعا بين عالمي الآلهة وعلم البشر، والذي ألقى بظلاله على البعدين الأنثروبولوجيين وهما الزواج الإضوائي والاغترابي في الأسطورة، ويبدو أن هذا الصراع وسع من نطاقه النصي النسقي والرمزي إلى الفضاء السياقي والأنثروبولوجي.

1. **النظام الأموسي الماتريارکي أو (سلطة الأنثى):** (كولاين، 2008، صفحة 36،30)،

وهذا يتضح من خلال علاقة القوية بين الأم (فينوس) وابنها(كيوبيد)، وأوامرها الملحة على ابنها بقتل بسيشيه (البشرية) والانتقام منها، وإنضواء بقية الآلهة الذين كانوا في أغلبهم آله ة ذكورا ومن بينهم كيبوبيد، والارتهان لرغبات فينوس (الأم)،والتي رفضت وبكل شدة اقتران عالم الآلهة بعالم البشر، هذا الأمر الذي رمى بثقله ومحموله الرمزي على نمط الزواج القرابي المتمثل في الزواج الإضوائي،حيث يكون الزواج والاقتران الاجتماعي والثقافي فيه ضمن البوتقة القرابية الواحدة، فهذا كله يصب في احتكار السلطة الأسرية للأم وإسداء الأمور إليها، وتنصيبها لمقاليد الحكم الاجتماعي. وما يمكن استنتاجه واستثماره من هذا التحليل وفي دائرة النص؛ أن نمط الزواج الإضوائي تشاكل مع النظام الأموي، فكأن هذا

الموروث اللامادي يؤرخ لنا العلاقات الأسرية والقرابية التي كانت موجودة في المجتمعات القديمة والسحيقة، ويعطينا صورة عن معيارية العلاقات المتبادلة بين فئات المجتمع.

2. النظام الأبوي البطرياركي (سلطة الذكر):

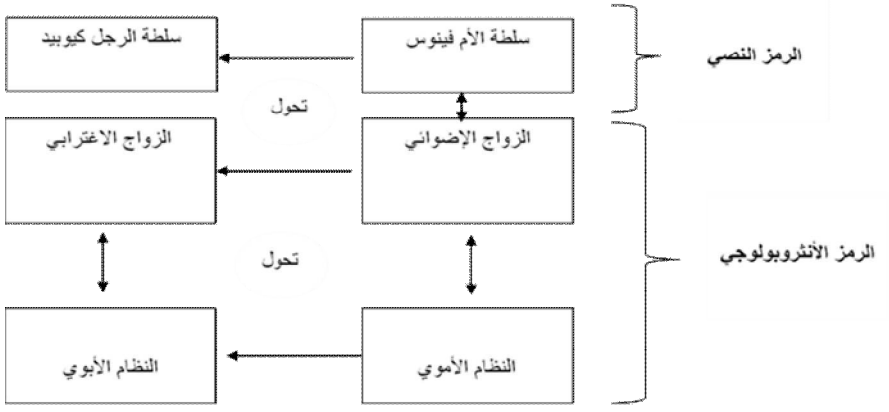
وهو نظام اجتماعي يمتلك فيه الرجال السلطات الأساسية في المجتمع (مصباح، 2010، صفحة 218-193)، ولقد تجسد هذا النظام نصيا من خلال رضوخ الإلهة فينوس (رمز الأم) لرغبات ابنها " كيوبيد" (رمز الرجل)، بعدما كانت هي الآمرة الناهية في عالمها الألوهي؛ أي بعبارة أخرى انتقال السلطة من سلطة الأم إلى سلطة الأب أو الذكر، إلى جانب ذلك هو تسخير كيوبيد لهذه السلطة الباطرياركية على زوجته بسيشه، وذلك بانتقال الزوجة إلى فضاء الزوج، وخضوعها إلى السلوكات المنوطة بها كزوجة كالقيام بالأعمال المنزلية والواجبات الزوجية تجاه زوجها (بورايو، 2002، صفحة22).

فهذا إذن إذعان وقبول بالتغيير الطارئ الذي حدث في أواصل المجتمع، وهذه الإفرازات القرابية الطارئة التي انتهت بإسداء مفاتيح السلطة الأسرية إلى الأب والذكر؛ تتواطؤ مع القيم الأنماطية للزواج التي وجدناها في أحشاء النص، التي تحولت من الزواج الإضوائي إلى الزواج الاغترابي. وهذا النمط يتوافق مع القيمين القرابيين الخاصين بنمط الزواج وبنمط القرابة الموجودين في تخوم النص الأسطوري، فالأسطورة ومن مقاربة أنثروبولوجية تحدثنا عن أن النظام الأسري كان في البداية أموميا حيث السطلة كانت للأم (فينوس الأم) ، وهي من كانت تسيّر ميكنزمات الحركية الاجتماعية ومن بينها نظام الزواج ذي النمط الإضوائي الداخلي، ولكن حدث تغيرا سوسيولوجيا فقدت فيه (الأم /الأنثى) السلطة الأسرية، ومنحت للرجل بل أصبحت هي من ترضخ لرغبات الرجل (الأم فينوس) ولنزواته وشهواته (بسيشيه الزوجة).

وهذا الأمر يؤكده كلود ليفي شتراوس Claude Lévi-Strauss عندما تعرض لمفهوم الزواج الاغترابي، إذ يقر أن الأفراد لا يتزوجون من داخل مجموعتهم، بل يبحثون عن زوجة

خارج هذه المجموعة، وان هذا النظام قد نشأ مكملا. لعمليات التبادل المستمرة للسلع بين مجموعتين أو قبيلتين وبذلك كانت الزوجات أيضا إحدى سلع التبادل بين المجموعات البدائية (Levi-Strauss, 1949,PP 774,772)، وهذا الجانب يقره النص الأسطوري الذي بين أيدينا، إذ تشاكل نمط الزواج الاغترابي بالنظام الأبوي الذي يمثله رمزيا كيوبيد (الذكر/الرجل)، وهما كلاهما ومن منظور أنثربولوجي يرفعا من قيمة الرجل ويضعون من مكانة الأنثى، إذ أصبحت الزوجات في النمط الاغترابي وفي ظل النظام الذكوري تستبدل كالسلع، وهذا يتشاكل أيضا مع الأسطورة إذ تنازلت فيونس (الأم) لرغبات كيوبيد (الرجل) ورضيت بما ارتضاه ابنها، ودخول ورضوخ بسيشيه البشرية (الأنثى) للفضاء القرابي الذي يتحكم في مقاليده كيوبيد (الذكر)، وأصبحتا كل من فينوس وبسيشيه (الأنثيين) رهينتا إرادة كيوبيد (الذكر).

وسنعبر عن هذا الانتقال الأنثروبولوجي من الأموسية إلى الأبوسية، وارتهان السطلة الماتريباركية (الأنوثة) إلى هيلمان وصولجان السلطة الباتريباركية (الذكورة) ؛ في ترسيمة توضح هذا الانتقال من فضائين مختلفين، الفضاء الأول نعبّر عنه بفضاء سلطة الأم، والفضاء الثاني سطلة الابن.



الشكل رقم (02): يمثل انتقال القرابة من النظام الأموي إلى النظام الأبوي في الأسطورة

4. خاتمة:

وبعد هذه الدراسة التي أعملنا فيها الحمولات المنهجية الأنثروبولوجية لتقصي نظم وعينات القرابة في أسطورة " بسيشيه وكيوبيد"؛ خرجنا بحزمة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

– من خلال تحليلنا لنص أسطورة "بسيشيه وكيوبيد"، اكتشفنا أن هذا المكّون اللامادي السردي النسقي قابل أن يكون عينة سياقية، وأن ينفتح على المناهج السياقية والإنسانية، التي تناقش الدلالات والمعاني الإنسانية المنضوية في نسيجه النصي، ولقد لاحظنا عند تطبيقنا للآليات الانثروبولوجية في نصنا المدروس أن هذا الأخير أفصح عن رموز ومدلولات قرابية مهمة، مما ساهم في فهم البنى السوسيو -أنثروبولوجية الساكنة في معمارية النص.

– تعد هذه الأسطورة وثيقة تاريخية وسوسيولوجية، فلقد أّرخت وبشكل تسريدي لحركية سوسيولوجية وأحداث ثقافية، لنظم القرابة الأسرية الضاربة في القدم وذلك بتوثيقها لأسبقية نمط الزواج الإضوائي تاريخيا على الزواج الاغترابي، وتأريخ لحركية الانقلاب القرابي من النظام الأموي (الأموسي) إلى النظام الأبوي.

– لقد اكتشفنا من خلال قراءتنا لأنماط الزواج ونظم القرابة في النص؛ أن نمط الزواج الإضوائي تشاكل وتوافق مع النظام الأموي، حيث تسند السطلة الاجتماعية والسياسية في المجتمع في هذا النظام القرابي للأنثى والذي حققته الإلهة فينوس رمز (الأم والأنثى)، كما خلصنا أن نمط الزواج الاغترابي تضايف مع نظام القرابي الأبوي، وهو نظام اجتماعي يمتلك فيه الرجال السلطات الأساسية في المجتمع، إذ أصبحت الزوجات في النمط الاغترابي وفي ظل النظام الذكوري تستبدل كالسلع، وهذا تحقق في النص الأسطوري المدروس، إذ لم تعد مقاليد الحكم والسطلة بيد الإلهة فينوس وأصبحت هي وزوجة ابنها كيوبيد (رمز الأب /الذكر)، رهن إشارته وتحت إرادته.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

أبلال، عياد .(2011) *أنثروبولوجية الأدب، دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي* .ط 1 .(القاهرة :روافد.

إحسان محمد الحسن. (1981). *العائلة والقرابة والزواج، دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي*. بيروت: دار الطليعة.

بورايو عبد الحميد. (2002). تحليل لاسطورة بسيشي وكيوبيد (لأبولاي دومادور) . *مجلة بحوث سيميائية* (ع01)، صفحة 21.

بيار بونت، ميشال إيزر. (2006). *معجم الإثنولوجيا والانثروبولوجيا* . (ترجمة: الصمد. مصباح) بيروت: مؤسسة المجد الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

ابن خلدون عبد الرحمان. (1992). *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجدم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر* (المجلد ج7). بيروت: دار الكتب العلمية.

رياض محمد. (1974). الإنسان دراسة في النوع والحضارة (ط2). يروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

شارلوت سيمور سميث. (2009). *موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية* (اط2). (ترجمة: شكري. علياء وآخرون،) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

عامر مصباح. (2010). *المدخل إلى علم الأمثروبولوجيا* . القاهرة: دار الكتاب الحديث.

لوكيوس ابوليوس. (2004). *الحمار الذهبي (أول رواية في تاريخ الإنسانية)* (ط3). الجزائر+بيروت: منشورات الاختلاف + الدار العربية للعلوم ناشرون.

مارك أوجيه، جون بول كولاين. (2008). *الأنثروبولوجيا* (ط1). (ترجمة: كتوره. جورج) بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

بن مالك، رشيد .(2000) .مقدمة في السيميائية السردية .الجزائر :دار القصبة.

------ .(2000).البنية السردية في النظرية السيمائية. الجزائر:دار الحكمة.

محمد حسن غامري. (1991). *مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة "علم الإنسان "*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

محمد عبده محجوب. (1977). *مقدمة في الاتجاه السوسيوأنثروبولوجي*. الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-------، فاتن محمد شريف. (2007). *التراث الشعبي، دراسات ميدانية في مجتمعات ريفية وبدوية*. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

ميشال أريفيه. (2002). *السيميائية أصولها وقواعدها*. (ترجمة: بن مالك،رشيد) الجزائر: منشورات الاختلاف.

المراجع باللغة الأجنبية:

Levi-Strauss, C. (1949). *Les structures elémentaires de la parenté.* paris: PUF.